*الإطناب*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ أحمد عبد الحميد مهدي

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في الإطناب**

**الكلمات المفتاحية : الإخبار ، اللغة ، دون ظهور الضعف**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن الإطناب**

1. **عنوان المقال**

**هو في اللغة مصدر أطنب، يقال: أطنب في كلامه إذا بالغ فيه، وطول ذيوله، وفي عرف البلاغيون بأنه: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو عرض المعنى في عبارة زائدة؛ بحيث تُحقق الزيادة فائدة، كما في قوله تبارك وتعالى:** {ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} **[مريم: 4]، فقد أراد زكريا # أن يخبر بكبره وتقدم سنه، فجعل الألفاظ زائدة على المعاني لفائدة، وهي إظهار ضعفه، وتأكيد الوهن؛ لأنه لو قال: ربي إني كبرت، أفاد ذلك الإخبار بتقدم العمر فقط، دون ظهور الضعف؛ إذ قد تكون مع تقدم سنك قويًّا نشيطًا.**

**ومن ذلك قوله :** {ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ} **[طه: 17- 18]، فقد كان يكفي في الجواب أن يقول موسى -#: عصى، ولكنه أطنب وفصَّل فأضاف العصى إليه، وذكر وظائفها، بعضها مفصلًا: أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي، وبعضها مجملًا: لي فيها مآرب أخرى، ولعله كان يطمع في أن يسأل عن هذه المآرب، فيجيب عنها، وبهذا يمتد الحديث مع الله -جل وعلا- ويطول؛ لأنه في مقام الكلام مع رب العزة سبحانه، وهو مقام يحلو فيه الإطناب؛ لأنه مقام تعظيم وتشريف، فالزيادة في الجواب كما ترى تحقق فائدة، فإذا لم تحقق الزيادة فائدة في الكلام؛ كانت تطويلًا أو حشوًا.**

**ومما تجدر الإشارة إليه أن الحكم بزيادة كلمة وعدم فائدتها، تابع للمقام والحال التي قيلت فيها الكلمة، ولا تستطيع أن تقطع بعدم الفائدة إلا إذا أحطت بالسياق، وعرفت قرائن أحواله، وعندما نتأمل الأبيات التي استشهد بها البلاغيون بالحشو غير المفسد، يتضح لك أن تلك الكلمات التي حكموا بزيادتها وحشوها، قد أفادت معنًى اقتضاه المقام.**

**تأمل قول البوصيري:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أمِن تذكر جيران بذي سلم** | **\*** | **مزجت دمعًا جرى من مُقلة بدم** |

**مع ما هو معلوم من أن الدمع لا يجري إلا من مقلة العين، ومن ذلك أيضًا قول الشاعر:**

|  |
| --- |
| **وأعلم علم اليوم والأمس قبلهم** |

**وقول آخر:**

|  |
| --- |
| **عاودني صداع الرأس** |

**فنجد أن الكلمات مقلة، وكلمة قبلهم، وكلمة الرأس قد أفادت تأكيدًا اقتضاه المقام، وهذا التأكيد لا يُفاد بطيِّها؛ ولذا لا نوافق البلاغيين، في قولهم بأنها حشو ولا فائدة فيها، ونحن نقول: ذقته بفمي، ورأيته بعيني، وسمعته بأذني، ووطأته بقدمي، ولا يقول أحد: أن تلك الكلمات: بفمي، وبعيني، وبأذني، وبقدمي، زائدة؛ لأنها أفادت تأكيدًا اقتضاه المقام. وقول الله تبارك وتعالى:** {ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ} **[النور: 15].**

**تجد أن التلقي لا يكون إلا بالألسنة، والقول لا يكون إلا من الفم، وأن الآية قد سيقت للرَّد على أهل الإفك، وإنكار ما قالوه وخاضوه فيه.**

**فقد رَموا بفاحشة الزنى إلى من هي ظاهرة العفاف والستر، وهذا افتراء عظيم، وإثم كبير، فالمقام إذًا يقتضي أن يسجل عليهم ما خاضوا فيه، وأنهم قد خرج من أفواههم، وانبعثت به ألسنتهم؛ ليكون في ذلك مبالغة في الإنكار والرد.**

**هذا، ويقع الإطناب في الكلام على أنواع مختلفة، أههمها: الإيضاح بعد الإبهام، وهو أن يُجمل المعنى ويبهم، ثم يفصل ويبين، فيبدو في صورتين مختلفتين، وعندئذٍ يقع في النفس أطيب موقع، ويتمكن لديها أفضل تمكن؛ لأن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام، تطلعت النفس وتشوقت إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فعندما يأتي هذا التفصيل وذاك الإيضاح؛ يكون أشدُّ وقعًا، وأقوى أثرًا؛ لأنه جاء والنفس عنه تبحث، وإليه تتطلع، وهم يقولون: إن الشيء إذا نيل بعد طلب ومشقة وبحث وتنقيب يكون أوقع في النفس، وأشد تأثيرًا، ويحدث لها بالوقوف عليها لذة ومتعة.**

**خذ قول الله تعالى:** {ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} **[الحجر: 66]، فقد أبهمت الآية ما قضي به إلى لوط #** {ﯣ ﯤ}، **ثم فصلته وبينت أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين؛ ففي الإبهام إثارة للمخاطب، وتحريك لفكره، فيتطلع إلى إيضاح ما أُبهم، وعندئذٍ يأتي الإيضاح، فيتقرر المعنى في ذهن المخاطب، ويقع موقعه في نفسه.**

**وفي هذا تفخيم وتهويل للعذاب الذي حلَّ بهم؛ لأنه ذُكر مرتين، مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة على طريق التفصيل والإيضاح، والشيء إذا ذكر مرتين كان آكد في الذهن وأشد تعلقًا والتصاقًا بالناس.**

**ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى:** {ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ} **[طه: 120]، فقد ذُكرت الوسوسة مجملة، ثم فصلت بما بعدها، وعندما أجملت اشتاقت النفس وتطلعت إلى معرفتها، والوقوف عليها، فلما جاء البيان، وقع في النفس موقعًا واضحًا، وكذا القول في مثل قوله تعالى:** {ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ} **[الصف: 10- 11]، فقد أُجملت التجارة التي تنجي من العذاب، ثم فصلت بعد ذلك وبينت.**

**ومن صور الإطناب ذكر الخاص بعد العام، أو العام بعد الخاص، فمن الأول قول الله تعالى:** {ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ} **[القدر: 4]، فالروح وهو جبريل # قد ذُكر مرتين، مرة مندرجًا تحت العام وهو الملائكة، ومرة وحده، وكأنه جنس آخر غير جنس الملائكة المعطوف عليه، وهذا تكريم لجبريل # وتعظيم لشأنه، ففي الآية إذًا إطناب، طريقه ذكر الخاص بعد العام، والغرض منه التنويه بشأن الخاص حيث يُذكر مرتين.**

**ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى:** {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ} **[البقرة: 238]، فالصلاة الوسطى داخلة في عموم الصلوات، وقد خصت بالذكر بعد العام؛ تنبيهًا إلى مزيتها وزيادة فضلها.**

**ومن ذلك قوله جل وعلا:** {ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ} **[آل عمران: 104]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخلان في عموم الدعوة إلى الخير، ولكنهما خُصَّا بالذكر بعد العام؛ إشارة إلى مكانتهما من الشرف والفضل.**

**ومن الثاني وهو ذكر العام بعد الخاص قول الله تعالى:** {ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ} **[نوح: 28]، فالمؤمنون والمؤمنات لفظان عامَّان يدخل فيهما من ذُكر قبل "لي" و"لوالدي"، و"لمن دخل بيتي مؤمنًا"، والسر البلاغي الكامن وراء ذكر العام بعد الخاص؛ هو العناية بشأن الخاص لذكره مرتين، مرة بلفظه، ومرة مندرجًا تحت العام.**

**ومن صور الإطناب أيضًا، التكرار.**

**ومن صور الإطناب أيضًا، الإيغال: وهو ختم الكلام شعرًا أو نثرًا بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونه، كما في قول الخنساء:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وإن صخرًا لتأتم الهداة به** | **\*** | **كأنه علَم في رأسه نار** |

**فقولها في رأسه نار، إطناب؛ لأنها شبهت أخاها صخرًا بالعلَم، وهو الجبل المرتفع المعروف، ووجه الشبه هو الاهتداء في كلٍّ، وقد تم التشبيه عند قولها كأنه علم، فختمت البيت بما يفيد قوة المبالغة في التشبيه؛ إذ النار في رأس الجبل تزيده وضوحًا وانكشافًا، وهذا أدعى لتمام الهداية وكمالها.**

**ومثله قول الأعشى:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كناطح صخرة يومًا ليوهنها** | **\*** | **فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل** |

**حيث تمَّ له المعنى بقوله: "وأوهى قرنه"، ثم اختتم البيت بإيغال حسن، وهو قوله "الوعل"؛ لأن الوعل ينحط من قمة الجبل على قرنه، فلا يضره، والوعل: هو تيس الجبل.**

**ومن الإيغال في النظم الكريم، قول الله تعالى:** {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} **[يس: 20- 21]، وقوله:** { ﮭ ﮮ }، **إيغال إذ المعنى قد تم بدونه الاهتداء الرسل قطعًا، والغرض منه زيادة الترغيب، والحث على اتباعهم والاقتداء بهم.**

**ومنه أيضًا قوله تعالى:** {ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} **[الذاريات: 23]، فقوله**{ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ}، **إيغال، أفاد زيادة التوكيد والمبالغة التي اقتضاها المقام.**

**ومن صور الإطناب التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها؛ لإفادة التوكيد، ويختلف التذييل عن الإيغال من عدة وجوه: أن الإيغال يكون بالجملة وبغير الجملة، أما التذييل فلا يكون إلا بجملة واحدة، والإيغال يفيد التوكيد، وغيره من الأغراض التي يأتي لها، أما التذييل فهو للتوكيد خاصة.**

**والتذييل يكون في آخر الكلام وفي أثنائه، أما الإيغال فلا يكون إلا في آخر الكلام.**

**والتذييل -كما ذكر البلاغيون- يأتي على ضربين: تذييل يجري مجرى المثل، وتذييل لا يجري مجرى المثل. فالأول: هو أن يُقصد بالجملة الثانية حكم مستقل عمَّا قبله بمعنى: أن جملة التذييل تفيد معنى يمكن استقلالها بإفادته عما قبلها.**

**خذ قول الله تعالى:** {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ} **[الإسراء: 81]، وقوله:** {ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ}، **تذييل أُتي به؛ لتأكيد الجملة قبله، وهو جارٍ مجرى المثل، بمعنى: أن الجملة الثانية مستقلة بمعناها عن الجملة الأولى، وجارية على الألسنة، كما تجري الأمثال التي كثر استعمالها وفشى.**

**فهي لا تحتاج في إفادة معناها إلى الجملة السابقة، ويدخل في هذا الضرب قول النابغة الذبياني:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ولست بمستبقٍ أخًا لا تلمه** | **\*** | **على شعث أيّ الرجال المهذب** |

**فقوله: أيّ الرجال المهذب، تذييل جرى مجرى المثل، حيث يجري على الألسنة مستقلًّا عما قبله.**

**والنوع الثاني من التذييل، هو الذي لم يجرِ مجرى المثل، فهو ما لا يستقل معناه، بل يتوقف على ما قبله، كما في قول الله تعالى: {**{ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ} **[سبأ: 16- 17]، فقوله:** {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ}، **تذييل لكنه غير جارٍ مجرى المثل؛ لأن معناه لا يُفهم إلا بما قبله.**

**ومن ذلك أيضًا قول الحماسي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فدعو نزال فكنت أول نازلٍ** | **\*** | **وعلى ما أركبه إذا لم أنزل** |

**فقوله: وعلى ما أركبه إذا لم أنزل، تذييل غير جار مجرى المثل؛ لأن فهم معناه يتوقف على ما قبله.**

**ومن الإطناب ما أسموه بالتكميل، ويسمى أيضًا بالاحتراس: وهو أن يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، كما في قول طرفة بن العبد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فسق ديارك غير مفسدها** | **\*** | **صوب الربيع وديمة تهم** |

**فقوله: "غير مفسدها"، احتراس عن المطر غير المسترسل الذي يسبب الخراب والدمار؛ لأن الديمة هي المطر المسترسل، و"تهم"، بمعنى تسيل، والمطر إذا كثر وزاد عن حده سبب الخراب والدمار، فدفع الشاعر هذا التوهم بقوله: "غير مفسدها".**

**ومن ذلك قول عبد الله بن المعتز في وصف الخيل:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وخيل طواها السير حتى كأنها** | **\*** | **أنابيب سمر من قنا الخط ذُيَّل** |
| **صببنا عليها ظالمين سياطنا** | **\*** | **فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل** |

**فقوله: "ظالمين" احتراس؛ حيث دفع به ما قد يُتوهم من أنها كانت بطيئة في المشي، ثقيلة في السير، لا تسرع إلا بالضرب واستعمال السياط، وهذا خلاف المقصود؛ لأن المقام مقام مدح.**

**ومما جاء من هذا النوع في النظم الكريم، قوله الله تعالى:** {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ} **[النساء: 95]، وقوله جل وعلا:** {ﭖ ﭗ ﭘ}، **احتراس يدفع التوهم، وأن القاعد بعذر داخل في مفهوم عدم الاستواء المذكور، ومن ذلك أيضًا قول الله تعالى:** {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ} **[النمل: 12]، وقوله:** {ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ}، **احتراس من نحو البهاق، والبرص إلى غير ذلك مما قد يُصيب جلد الإنسان، هذا ولا يخفى عليك بالنظر في الشواهد المذكورة أن الاحتراس قد يتوسط الكلام، وقد يقع في آخره.**

**ومن صور الإطناب أيضًا، التتميم: وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة، مثل: المفعول، والحال، أو الجار والمجرور، ونحو ذلك مما ليس بجملة مستقلة، ولا ركنًا من أركان الكلام؛ وذلك لإفادة نكتة بلاغية، كما في قوله تعالى:** {ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} **[الإنسان: 8]، وقوله جل وعلا:** {ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ} **[البقرة: 177]، وقوله :** {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ} **[آل عمران: 92]، فقوله عزَّ من قائل:** {ﭦ ﭧ}، **و**{ﭖ ﭗ}، **تركه لا يجعل الكلام مُفهمًا خلاف المقصود، وقد أوتي بها في النظم الكريم؛ لنكتة بلاغية، وهي إفادة المبالغة في مدح هؤلاء الذين يؤثرون على أنفسهم، ويطعمون، وينفقون مالًا قد أحبوه، وطعامًا قد اشتهوه وأرادوه.**

**ومن الإطناب، ما هو معروف باسم الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام الواحد، أو بين كلامين متصلين في المعنى بأن يكون ثانيهما تأكيدًا لأولهما، أو بيانًا له أو بدلًا أو معطوفًا بجملة، أو أكثر لا محل لها من الإعراب؛ لنكتة سوى دفع الإيهام، وذلك كالتنزيه، في قول الله تعالى:** {ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ} **[النحل: 57]، وكالتعظيم، في قوله: {**{ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ} **[الواقعة: 75- 77]، وكالتقرير في قوله تعالى:** {ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} **} [يوسف: 73]. وكذا قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إن الثمانين وبلغتها** | **\*** | **قد أحوجت سمعي إلى ترجمان** |

**ومن ذلك أيضًا، قوله تعالى:** {ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ} **[لقمان: 14]، فقوله: {** {ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ}، **تفسيرًا لقوله:** {ﭶ}، **وقوله: {** ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ}، **اعتراض بينهما، أريد به تأكيد التوصية بالأم، والتذكير بحقها العظيم على الأبناء؛ لما عانته وقاسته من الآلام.**

**وهكذا دواليك، نجد أن الإطناب إنما يؤدي دورًا وسرًّا بلاغيًّا يفسد المعنى إذا لم يذكر في الكلام.**

**ومن الإطناب، زيادة بعض الأحرف في النظم؛ لتحقيق غرض من الأغراض البلاغية، كزيادة "أنْ"، بعد "لمَّا" في قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ} [يوسف: 96]، فزيادة "أنْ"، بعد "لمَّا"، في الآية الكريمة، دلت على أن المجيء لم يكن على الفور، بل كان هناك تراخٍ وتباطئٍ؛ لبُعد ما كان بين يوسف وأبيه -عليهما السلام.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**